

زائر لغرفتي "قداسة البابا شنودة الثالث"

كانت الدنيا تغرق في ظلام دامس، و أنا ارقد على سريري، عندما سمعت الباب يطرق... حاولت أن أتجاهل الصوت، و لكنه استمر يطرق بإلحاح. فقامت متثاقلاً أتحمس طريقي إلى الباب. اصطدمت بعدة أشياء، وقع بعض منها على الأرض مُحدثاً ضجة. وصلت إلى الباب أخيراً المقبض فأدرته و فتحته.

أغمضت عيني للحظات من شدة الضوء خارج الحجره. و بعد ثواني، نظرت إلى الشخص الواقف أمامي فبادرني: "لقد جئت لأتعشى معك"

لم أتذكر أنني دعوت أحداً، و لكني قلت: "تفضل"

دخل و وضع المصباح الذي كان بيده على المنضدة، كان نوره قوياً جداً، فرأيت غرفتي بوضوح... كانت أبشع و أقدر كثيراً مما تخيلت... كنت أعلم أنها غير نظيفة، و لكن ليس إلى هذا الحد المزري.

نظرت إليه في خجل... لم أعرف ماذا أقول، فبادرني هو قائلاً: "يجب أن أنظف هذه الغرفة قبل العشاء، فهل تسمح لي؟" أومأت برأسي بالإيجاب و أنا في شدة الخجل، و بدأ هو العمل فوراً.

بدأ بالأرض... رمى أشياء كثيرة كانت تبدو مهمة فيما مضى، و لكنها صارت بلا أهمية منذ تلك اللحظة... ألقى بنفايات وددت لو تخلصت منها منذ زمن طويل، و لكني لم أفعل... قام بتنظيف تراكمات سنين عديدة.

بعد فترة قال لي: "ماذا عن الصندوق الملقى في ركن الحجره؟"

"ماذا عنه؟"

"ماذا تضع فيه؟"

"هو صندوق زباله، و لكني أحتفظ في داخله بأشياء أحبها و اعتز بها كثيراً، و أريد الاحتفاظ بها"

"و لكن إن كنت تريد حجره نظيفة فعلاً، فلا بد من رميه خارجاً، إنه يشوه منظر الحجره"

"أرجوك لا ترميه، أنا أريد الاحتفاظ به"

نظر إلى متوسلاً، يلتمس موافقتي... فاستسلمت لنظرات عينيه و أجبت: "حسناً
افعل ما تريد"

فابتسم وفي ثواني اختفى الصندوق.

استمر يعمل حتى لمعت الحجرة من النظافة، و عندما انتهى قال: "هل تحب أن أفعل لك شيئاً آخر؟ فهناك أمور عديدة يجب أن تصلحها؟"

"حسناً افعل ما تشاء، و لكنى أرجو أن تنتهي من العمل بسرعة، فأنا أحب أن أحافظ على خصوصياتي"

أجاب: "و لكنى كنت أفكر بالمعيشة معك لأساعدك دائماً"

قلت: "و لكن وجودك هنا سيُعيد من حريتي التي أستمتع بها جداً"

"إن لم أمكث معك هنا، فسوف تتسخ الحجرة مرة أخرى... و إن أنا خرجت، فسوف تعيش أنت في ظلام لأن المصباح معي... ثم إنني أريد أن أجمل هذه الحجرة و أزينها لنسكن فيها سوياً، عندئذ لن يعوزك شيء"

نظرت إليه، و قد استسلمت لنظرات عينيه، و قلت: "أهلاً بك في حجرتي"

انتبهت من غفلتي و إذا بالإنجيل مفتوح أمامي و أنا أقرأ في سفر الرؤيا الإصحاح الثالث الآية العشرون:

"ها أنا واقف على الباب و أقرع، إن فتح لي أحد، أدخل و أتعيشى معه و هو معي"

"إنه على الباب يقرع، فلنفتح له، و نتمتع بوجوده، يكشف لنا ذاته، و يكشف لنا محبته، و يفتح لنا قلبه، و يشعرننا برعايته و اهتمامه... عجيب هذا الإله المحب، الذي يعطى أهمية لخليقته بهذا المقدار"